# الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين

للدكتور احمد مختار العبادى

موضوع هذا المقال يتناول نشأة دولة اسلامية مغربية مجاهدة ، وهى دولة المرابطين . ولقد تعرضت هذه الدولة ، للأسف ، لعداوات الكثيرين ممن جاءوا بعدها من الموحدين والاندلسيين الذين حملوا عليها حملة ظالمة كان الدافع اليها إما تعصبا دينياً أومذهبياً ، وإما كراهة سياسية أو قومية ، فحاولوا النيل منها (١) ، وتبعهم فى تلك الكراهية بعض المؤرخين المستشرقين المحدثين أمثال العالم الهولندى راينهارت دوزى الذى دفعه اعجابه بالمعتمد بن عباد وغيره من ملوك الطوائف إلى كره خالعيهم المرابطين واتهامهم ظلما بالجهل والوحشية والقضاء على العلم والحضارة فى الاندلس (٢) وقد تبعه فى ذلك نفر من المؤرخين المعاصرين (٣) .

وعلى الرغم من الغموض الذى اكتنف نشأة هذه الدولة المرابطية ، وندرة المصادر التاريخية التى سجلت تاريخها بوجه عام ، والمراحل الأولى منه بوجه خاص فان المحاولات التى اضطلع بها الباحثون المحدثون (٤) من أجل

---

(١) راجع على سبيل المثال (البيذق : كتاب اخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين) ، حيث نجد باباً خاصاً فى ذكر مثالب المرابطين ، وعبد الواحد المراكشى ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص ١٧٧ ، وكذلك الشقندى فى رسالته التى كتبها فى فضل الأندلس والتى هاجم فيها يوسف ابن تاشفين والمرابطين واتهمه بالجهل . (راجع — المقرى : نفح الطيب ج ٤ ص ١٧٧ ، ص ١٩٢) .

(٢) راجع كتابه الخاص بتاريخ بنى عباد ملوك اشبيلية Loci Abbadides

(٣) نذكر منهم المؤرخ الأمريكى ارشيبلدلويس فى كتابه "القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ص ٣٦٢ ، ترجمة أحمد محمد عيسى .

(٤) أمثال حسين مؤنس ومحمود مكى ، وحسن أحمد محمود وأوريبى ميراندا Huici Miranda وبوسك فيلا Bosch Vila وغيرهم .

كتابة تاريخ منصف لهذه الدولة المجاهدة تكشف لنا عن مآثر حميدة تملأ الصفحات الطوال بأحرف من نور . وحسبي في هذه الدراسة أن أقتصر على عرض بعض صفحاتها الأولى التي تتناول مكان وزمان نشأتها والدوافع التي أدت إلى قيامها بدورها التاريخي الخالد .

وتبدأ مقدمة هذه الصفحات في جناح المغرب الأيمن ، في الصحراء الغربية صحراء شنجيط(١) أو مايسمى اليوم موريطانيا . في هذه الصحراء الشاسعة التي تشبه في مجموعها البلاد الحجازية أرضا وماشية ونباتا ، والتي تحدها من الجنوب بلاد السودان حيث مملكة غانة الكبيرة ، وفي الغرب المحيط الاطلسي ، وفي الشرق نهر النيجر عندما يلتوي شمالا إلى جهة تمبكتو ، وفي الشمال منطقة سجلماسه التي يقال لها اليوم تافيلالت(٢) ، في هذه الصحراء كانت تعيش قبائل صنهاجه اللثام البربرية ، ومن أشهرها : قبيلة لمتونه في شمال الصحراء ، وتليها جنوبا مسوفة ، ثم جدالة بالقرب من نهري السنغال والنيجر وساحل المحيط . وهذه القبائل الصنهاجية ، كانت امتداداً لقبائل صنهاجة التي كانت في الشمال ، والتي تكونت منها الدولة الزيرية الصنهاجية في المغربين الأدنى والأوسط ، وكذلك الدولة الزيرية التي قامت في غرناطه بعد سقوط الخلافة الأموية أيام ملوك الطوائف .

---

(١) كلمة شنجيط أو شنقيط كانت تطلق في الأصل على قرية من قرى ولاية أدرار بموريطانيا ومعنى شنجيط بالبربرية عيون الخيل ، ويقال انها بنيت في القديم في القرن الثاني الهجري ، ثم جددت في القرن السابع في موضعها الحالي ، ولم يلبث اسمها أن أطلق على القطر كله وصار أهله يعرفون بالشناجطة ومن الغريب أن الرحالة المسلمين الذين مروا بهذه البلاد مثل ابن بطوطه وليون الافريقي لم يذكروا اسم شنجيط في كتاباتهم مع انهم ذكروا مدنا أخرى أقل منها شأناً . ومازالت مدينة شنجيط هي العاصمة الروحية للبلاد أما العاصمة السياسية فهي مدينة نواكشوط على ساحل المحيط الأطلسي .

راجع (الشيخ ماء العينين الشنجيطي الشريف الادريسي : الجانب الربيط في انتقال من مغربية شنجيط ص ١١ ؛ محمد يوسف مقله : شعراء موريتانيا . (الدار البيضاء ١٩٦٢) .

(٢) يلاحظ أن تافيلالت الحالية تقابل مقاطعة سجلماسه القديمة أما مدينة سجلماسه القاعدة فتقابلها اليوم مدينة الريصاني .

غير أن هذه القبائل الصحراوية الجنوبية ، كانت تختلف عن أقربائها فى الشمال فى أنها كانت تتلثم أو تتنقع ، ولهذا سميت بصنهاجة اللثام(١).

ولعلها أخذت هذه العادة من زنوج افريقيا المجاورين الذين استخدموا الأقنعة لدفع العين الشريرة عنهم(٢).

وفى ذلك يقول المؤرخ والجغرافى المعاصر أبو عبيد البكرى :-

"وجميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب ، وهو فوق اللثام ، حتى لايبدو منه الا محاجر عينيه ، ولايفارقون ذلك فى حال من الاحوال ، ولايميز رجل منهم وليه ولا حميمه إلا إذا تنقب ، وكذلك فى المعارك ، إذا قتل منهم القتيل وزال قناعه ، لم يعلم من هو حتى يعاد عليه القناع ، وصار ذلك ألزم من جلودهم" (٣).

ويضيف صاحب الروض المعطون أنه إلى جانب استعمال اللثام ، كانوا يلبسون الغفائر (٤) القرمزية اللون ، والعمائم ذات الذوابات(٥).

كذلك اشاد المؤرخون بشجاعة الملثمين فى القتال ، فقال البكرى فى هذا الصدد : "ولهم فى قتالهم شدة وجلد ليس لغيرهم ، وهم يختارون الموت

---

(١) سبقهم فى ذلك الشاعر أبو محمد بن سلمة بقوله :

ما حموا اسرار كل قبيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا

(المقرى : نفح الطيب جـ ٤ ص ١٩٣ ، ابن أبى زرع : روض القرطاس جـ ٢ ص ٣٨)

(٢) راجع André Julian : Histoire de l'Afrique de Nord. P. 77, Paris 1952

(٣) راجع البكرى : المغرب فى وصف افريقية والمغرب ص ١٧٠ ، نشر دى سلان الجزائر ١٩١١) هذا ، ومازالت قبائل الطوارق أو التوارجة فى صحراء الجزائر يستعملون اللثام ، ويقال انهم من قبيلة ترجع احدى قبائل الملثمين ، ويضعهم ابن خلدون فى كتلة البربر البرانس التى تنتمى اليها صنهاجه . (حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ١٨ ) .

(٤) الغفارة : رداء واسع يلبسه الجنود عادة . ومازالت كلمة غفارة تستعمل فى المغرب بمعنى السلهام . راجع (R. Dozy : Supplément aux Dict. Arabes, II P. 218

(٥) عثمان بن غازى : الروض المعطون فى وصف مكناسة الزيتون ص ٦ .

ولقد استطاع هذا الفقيه ، بفضل ذكائه واخلاصه وحزمه ، أن يخلق من قبائل الملثمين قوة دينية سلفية تقوم :

(أولا) على الايمان الراسخ واقامة شعائر الاسلام وفق ما جاءت به السنة .

(ثانياً) على التمسك بمذهب مالك بن أنس فيما يرجعون اليه من قوانين دينية ودنيوية .

ويبدو أن عبد الله بن ياسين ، أراد أن يتوج اتباعه بتسمية تتفق مع تلك الأهداف السامية ، فسماهم بتلك التسمية الخالدة : « المرابطون » ، وقد اختلف المؤرخون حول أصل هذا الاسم ، فهناك فريق أمثال صاحب روض القرطاس وابن خلدون والسلاوى الناصرى ، يرجعونه إلى ذلك الرباط الذى اتخذه عبد الله بن ياسين فى بداية دعوته عند مصبب نهر السنغال أو فى احدى جزر الساحل الموريطانى على المحيط الأطلسى .

وهناك فريق آخر أمثال ابن عذارى ، وصاحب الحلل الموشية ، وصاحب كتاب مشاهير أعيان فاس ، يرون أن هذا اللقب أطلقه عبد الله بن ياسين على قبيلة لمتونه عقب معركة عنيفة انتصرت فيها على قبائل من البربر على غير دين الاسلام (١) عند جبل فى شمال الصحراء ، فسماهم بالمرابطين بمعنى الصابرين المجاهدين فى سبيل الله دون التقيد برباط مادى يرابطون فيه . وسواء أكان هذا المعنى المادى أو ذاك المعنى المجازى الروحى ، أو كلاهما معاً هو أصل هذه التسمية ، فالذى يبدو من سير الحوادث أن المرابطين قد تفهموا جيداً المعانى النبيلة لكلمة الرباط أو المرابطة ، وفخموا من شأنها إلى درجة أنها صارت اسماً علماً لهم ، كما صارت كلمة مرابط بعد ذلك

---

(١) يرى صاحب كتاب مشاهير اعيان فاس ، أن هذه القبائل المشركة كانت من بر غمراطه وان المعركة دارت بنواحى بلاد السوس وسجلماسه .

بمثابة وسام عسكرى يمنحه كل سلطان مرابطى لأتباعه المجاهدين ، ليؤكد من جديد سنة أسلافه فى ايثار الجهاد والرباط والذود عن الاسلام (١)

بهذه الرسالة الدينية السامية كان خروج المرابطين من الصحراء . ويرى بعض المؤرخين أن السبب فى خروجهم يرجع إلى عامل سياسى وهو قوة مملكة غانا فى الجنوب واشتداد ضغطها على المرابطين الذين اضطروا أمام هذا الضغط إلى الاتجاه شمالا نحو المغرب (٢) .

وهذا التفسير لا يتفق مع طبيعة الأحداث ، لأن مملكة غانا هى التى تعرضت فى الواقع لضغط جيوش المرابطين منذ قيام دولتهم ثم لم تلبث عاصمتها مدينة غانا أن سقطت فى يد أمير المرابطين أبى بكر بن عمر سنة ١٠٧٦م (٤٦٨هـ)(٣) كذلك يروى كثير من المؤرخين أن سبب خروج المرابطين من الصحراء يرجع إلى عوامل اقتصادية تقوم على رغبة المرابطين فى التحكم فى طرق التجارة الشمالية والتمتع بأراضى المغرب الخصبة . ونحن لا ننكر دور العامل الاقتصادى فى هجرات الشعوب إلا أن الاعتماد عليه وحده ، دون الالتفات إلى الدوافع الأساسية الأخرى ، لا يستقيم هنا فى حالة المرابطين خصوصاً وأن الطريق التجارى الصحراوى بين أودغشت جنوباً وسجلماسة شمالا كان طريقاً معروفاً ومطروقاً من قديم ، وكذلك كانت قبائل صنهاجة تعيش فى صحرائها من قديم ، وكثيراً ما قاست من أهوال الجدب والقحط

---

(١) مثال ذلك قول عبد الواحد المراكشى فى كتابه المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص ١٧١ وحين ملك يوسف بن تاشفين جزيرة الأندلس ، تسمى هو وأصحابه بالمرابطين ، وقوله فى ترجمة ابنه على «وقام بأمره ابنه على بن يوسف بن تاشفين ، وتلقب بلقب أبيه أمير المسلمين ، وسمى أصحابه بالمرابطين ، فجرى على سنن أبيه فى ايثار الجهاد والمحافظة الحدود وحماية البلاد» انظر كذلك مقالنا (دراسة حول كتاب الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية وأهميته فى تاريخ المرابطين والموحدين ، مجلة تطوان العدد الخامس سنة ١٩٦٠ ) .

(٢) راجع على سبيل المثال (دكتور حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام والعروبة فيما بين الصحراء الكبرى ص ٥٧ ) .

(٣) راجع ما كتبه الأستاذ قاسم الزهيرى عن الممالك الاسلامية القديمة فى افريقيا السوداء فى مجلة دعوة الحق ، أعداد ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ (١٩٦٢)

وكونت أحلافاً اقتصادية فيما بينها ، الا أنها لم تقم بمثل هذه الهجرة الجماعية المنظمة إلى الشمال مما يدل على وجود عامل رئيسى جديد دفع بهذه القبائل إلى التكتل والاندفاع إلى خارج الصحراء شمالا وجنوباً — وهذا العامل هو من غير شك : الاسلام (١) . فالمرابطون ، كما هو واضح من أسمهم ومن أعمالهم ، كانوا وقبل كل شيء أصحاب رسالة دينية يريدون تحقيقها وهذا هو السبب الأساسى فى خروجهم من الصحراء شمالا نحو المغرب وجنوباً نحو السودان .

ولكن هل كان هناك ما يوجب الجهاد الدينى فى البلاد المغربية فى ذلك الوقت ؟ الاجابة على هذا السؤال تقتضى الكلام عن حالة المغرب قبيل غزو المرابطين :

إن الذى يدرس حالة المغرب فى أوائل القرن الخامس الهجرى ، يجد أنه كان يعانى محنة سياسية ودينية . وقد أعطانا البكرى صورة واضحة لموجة التنبؤ والشعوذة التى عمت جزءاً كبيراً من بلاد المغرب الأقصى فى تلك الفترة . كما صور لنا ابن عذارى حالة الفوضى السياسية التى كان يعيشها المغرب بتلك العبارة المختصرة : «وكان أهل المغرب يتولون أمور بلادهم إلى أن تغلب كل شخص منهم على موضعه كما فعل ملوك طوائف الأندلس»(٢).

---

(١) حاول المؤرخ الأمريكى ارشيبالدلويس فى كتابه : القوى البحرية فى حوض البحر المتوسط ص ٣٦٢ ربط هجرة المرابطين بهجرات السلاجقة الاتراك والعرب الهلالية ، على أساس أنهم جميعاً قبائل رحل خرجوا من ديارهم فى وقت واحد تقريباً ونتيجة لظروف سياسية أو اقتصادية أو مناخية ، وانتهى إلى اتهامه لهم بعدم تقديرهم للأوضاع السياسية والاقتصادية السائدة فى البلاد التى اغاروا عليها ، وبأنهم كانوا مخربين لكل حضارة مستقرة . والواقع أن مثل هذا الحكم العام تعوزه الدقة العلمية والدراسة التحليلية المقارنة ، لأن كل شعب من هذه الشعوب له ظروفه وملابساته الخاصة به ولا وجه للمقارنة مطلقاً بين فساد العربان الهلالية مثلا وبين أعمال المرابطين الايجابية البناءة التى انقذت الاسلام فى المغرب والأندلس من انهيار محقق .

(٢) ورد هذا النص فى القطعة الباقية من الجزء الخاص بتاريخ المرابطين من كتاب البيان المغرب لابن عذارى نشرها المستشرق الأسبان أوريتى ميراندا تحت عنوان :

Ambrioso Huici Miranda : Un Fragmento Inédito de Ibn Idari Sobrelos Almoravides, Hesperis Vol 11. 1961. fasc. 1.

فابن عذارى قد شبه الحالة فى المغرب بحالة الأندلس من حيث أن كلا من البلدين قد تحكمت فيه طوائف متعددة أو دويلات طائفية .

واذا نحن حاولنا استعراض هذه الطوائف المختلفة التى سادت المغرب قبيل وصول المرابطين ، نجد أنها كانت تنحصر فى هذه القوى الأربع :

(أولا) قبائل غمارة فى الشمال .

(ثانياً) قبائل برغواطة فى الغرب .

(ثالثاً) قبائل زناتة التى كانت تكون نطاقاً حول الطوائف السابقة ولا سيما برغواطة .

(رابعاً) طوائف الشيعة الرافضة والوثنيين فى الجنوب .

أما عن الطائفة الأولى وهى قبائل غمارة ، فكانت تسكن جبال الريف الممتدة بحذاء البحر المتوسط من نواحى سبته وطنجة غرباً ، إلى وادى نكور بالقرب من المزمة أو الحسيمة الحالية شرقاً ، وتمتد بلادهم جنوباً إلى قرب فاس . وكانت غمارة فرعاً من مصموده ، ويفهم من كلام المؤرخين أن عدداً كبيراً منها قد انحرف عن الاسلام فى القرن الرابع الهجرى وظهر فيهم متنبؤون ومشعوذون ، كما قصدتهم الخوارج للمنعة فى جبالهم . وفى ذلك يقول ابن خلدون وصاحب كتاب الاستبصار :

وكان غمارة هؤلاء ، عريقين فى الجاهلية بل الجهالة ، والبعد عن الشرائع بالبداوة والانتباذ عن مواطن الخير ، وتنبأ فيهم انسان يعرف بحاميم بن مَنّ الله ، ولقب بالمغرى — وفى رواية أخرى بالمقتدى — ولعلها هى الأصل ثم حرفت إلى المغرى — والجبل الذى تنبأ فيه ينسب اليه ، وهو جبل حاميم على مقربة من تيطوان ، وأجابه بشر كثير من غمارة وأقروا بنبوته ، ووضع لهم شريعة استهواهم برخصها ، فرد لهم الصلاة صلاتين عند طلوع الشمس وعند غروبها ، ووضع لهم قرآناً بلسانهم (أى البربرية) . ومن تعاليمه انه أحل لهم أكل الذى

الخنزير ، وأسقط عنهم الحج والطهر والوضوء ، وحرم عليهم الحوت حتى يذكى ، وحرم بيض كل طائر .. الخ (١).

ولقد قتل هذا المتنبيء فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، بأحواز طنجة فى حروب له مع قبائل مصمودة الساحل (٢) على حد قول البكرى وابن خلدون، أو فى حروب مع جيوش الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر ، على حد قول صاحب الاستبصار وصاحب مفاخر البربر (٣) .

وعلى الرغم من انقضاء أمر هذا المفترى فى القرن الرابع الهجرى، فانه يبدو أن بقايا بدعه وضلالاته ، قد استمرت فى غمارة حتى مجيء المرابطين فى القرن الخامس الهجرى . فابن خلدون يشير إلى متنبيء آخر ظهر فى غمارة بعد حاميم اسمه عاصم بن جميل البردعوى(٤) . كذلك يفهم من كلام البكرى الذى عاصر تلك الفترة ، أن أحد أولاد حاميم واسمه عيسى ، كان لا يزال مبجلا فى قومه غماره ، وأن الاباحية بين النساء كانت مطلقة وأن رجالهم كانوا يربون شعورهم كالنساء ويتخذونها ضفاير ، ويطيبونها ويتعممون بها .. الخ (٥) فلو أن هذه البدع كانت قد انتهت قبل مجيء المرابطين لما فات البكرى ان يشير إلى ذلك .

---

(١) انظر (كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار لمؤلف مجهول ص ١٩٠ نشر الدكتور سعد زغلول (مطبوعات جامعة الاسكندرية ١٩٥٨)وكذلك، ابن خلدون: العبر ج ٦ ص ٢١٩ )

(٢) ينسب اليها قصر مصمودة أو قصر المجاز أو القصر الصغير الذى بناه زعماء مصمودة بالقرب من طنجة على عهد طارق بن زياد ، وتقابله بلدة طريف Tarifa على الساحل الأندلسى المقابل ، والمسافة بينهما اثنى عشر ميلا .

راجع (ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢١٠ – ٢١١) ؛ البكرى : المغرب فى وصف افريقية والمغرب ص ١٠١ .

(٣) راجع (كتاب الاستبصار ص ١٩١ – ١٩٢ ، كتاب مفاخر البربر لمؤلف مجهول ص ٧٧) .

(٤) انظر (ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٢١٦) .

(٥) البكرى: نفس المرجع السابق ص ١٠٠ – ١٠٢ .

أما الطائفة الثانية فهي دولة برغواطة :

تشأت هذه الدولة أول الأمر في القرن الثاني للهجرة في اقليم تامسنا(١) أو ما يسمى اليوم بالشاوية (٢) . وهي الأراضي التي تبدأ من مكان مدينة الرباط الحالية وتمتد إلى ثغر فضالة الذي كان قاعدة لأسطولها (٣) ، وتنتهي عند بلدة أزمور عند مصب وادي أم الربيع . ويروى ابن الخطيب أن هذه الدولة اتخذت في بعض الأوقات مدينة شالة عاصمة لها (٤) وهذه المدينة ، كما هو معروف ، مدينة قديمة مندرسة ، مازالت أطلالها باقية خارج أسوار مدينة الرباط ، وقبالة مدينة سلا التي لا يفصلها عنها سوى وادي أبي الرقراق ولذا عرفت بشالة سلا (٥) .

ولقد اختلف المؤرخون حول اسم برغواطة ، فبعضهم يرى بانه لم يكن اسماً لقبيلة معينة يجمعها أصل واحد أو أب واحد ، بل كان اسماً لاخلاط من البربر اجتمعوا على شخص يهودي الأصل ، ادعى النبوة ، اسمه صالح ابن طريف بن شمعون البرباطي ، نسبة إلى وادي البرباط في جنوب الأندلس

---

(١) تامسنا : كلمة بربرية ، بلهجة زناتة ، ومعناها البسيط الخالي ، وقد اطلقت على البسيط الممتد على ساحل المحيط من الرباط إلى الدار البيضاء التي يسمى الآن بالشاوية ، وهو الآن تكسوه الزروع والخضروات ، ولكنه بالأمس كان ارضاً من صدرة وعليق ترعى فيها الأغنام . وقد سمي أحد أبواب مدينة الرباط بهذا الأسم (باب تامسنا) وهو الذي تمتد منه الطريق الذاهبة إلى الدار البيضاء ، وقد هدم اخيراً . ولا زال لفظ تامسنا يطلق في صحراء غدامس بمعنى الأرض القفر والبسيط الخالي . راجع (لاوست : لغويات ، مجلة المغرب ، عدد سبتمبر واكتوبر ١٩٣٦ ، السنة الخامسة) .

(٢) لما تلاشت برغواطة ، سل محلها العرب ولاسيما عرب سويد من رياح الهلاليين وذلك في أيام الدولة المرينية ، وعرفوا بعرب الشاوية نسبة إلى الشاه ، لأنهم كانوا يقومون برعاية أغنام وماشية الدولة المرينية . راجع (أحمد البيدي : آسفي وما اليه ص ٣٥) .

(٣) البكري : نفس المرجع ص ٨٧ .

(٤) ابن الخطيب : كتاب أعمال الأعلام ، القسم الثالث الخاص بتاريخ المغرب ص ١٨٤

(٥) المقري : نفح الطيب ج ٨ ص ٣٢٢ . راجع كذلك : Henri Basset et Provençal : Chella,une Nécropole Mérinide [Paris 1922].

فى ذلك إلى المؤثرات – اليهودية التى توجد فى ديانتها مثل استعمال كلمة ياكش التى يرجعونها إلى يوشع اسم النبى اليهودى ، ومثل تربية الشعور على شكل ضفائر ، على أنها عادة متبعة عند يهود بولونيا واليمن ، ومثل تحريم البيض ، والاعتقاد فى تأثير اللعاب وهى عادة عند يهود طنجة ، ومثل تقديس الديك وهى عادة لا زالت رواسبها باقية فى المناطق التى كانت فيها برغواطة مثل الشاوية ودكالة حيث يحتفل أهل البادية فى بعض مواسمهم بدفن عظام الديك ، ومثل الاهتمام بموسى فى تعاليمهم وتقديمه على عيسى ، هذا إلى جانب أن مؤسس هذه الدولة يهودى الأصل من ولد شمعون كما أسلفنا .

ولا شك أن هناك تأثيرات يهودية واضحة فى ديانة برغواطة ، إلا أنه يلاحظ فى الوقت نفسه ، أن التأثيرات الاسلامية أقوى وأوضح بحيث يمكن أن يقال أنها تقليد مشوه للاسلام فى أسلوب وطابع محلى بربرى .

ويبدو أن النزعات الاستقلالية والقومية التى انتشرت بانتشار مذهب الخوارج فى المغرب ، قد جعلت بعض المتطرفين يتجهون إلى مثل هذا الاتجاه الدينى المستقل عن الاسلام . وقد يدل على ذلك قول الرحالة البغدادى ابن حوقل الذى زار المغرب فى القرن الرابع الهجرى :

«وكان صالح بربرى الأصل ، مغربى المولد ، ضليعاً بلغة البربر ، يفهم غير لسان من ألسنتهم ، فدعاهم إلى الايمان به ، وذكر أنه نبى ورسول مبعوث اليهم بلغة البربر ، واحتج بقوله تعالى : «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه» ، وان محمداً عربى اللسان مبعوث إلى قومه . ثم يضيف ابن حوقل : «وفيهم (أى البرغواطيين) من يفهم القرآن ، ويحفظ منه السور إلى الآن ، ويتأول لآياته الموافقة لكتابهم وقراءتهم (١) .

---

(١) ابن حوقل : المسالك والممالك (صورة الأرض) ص ٥٦ – ٥٧ ، نشر دى خويه ، طبعة (ليدن ١٨٧٣) .

وكيفما كان الأمر ، فالذي يهمنا في هذا الصدد هو أن هؤلاء البرغواطيين كانوا في نظر المسلمين مجوساً منحرفين مارقين عن الدين الحنيف ، ولهذا فرضوا قتالهم واستحلوا دماءهم . وتجمع المصادر التاريخية على أن جميع الملوك والحكام الذين تداولوا حكم المغرب قبل مجيء المرابطين ، كالأدارسة والأمويين والفاطميين والزيريين والزناتيين ، قد جاهدوا برغواطة وأنزلوا بها هزائم منكرة وخسائر فادحة حتى إنه ليخيل إلى القارىء أنه قد قضى عليها تماماً ، ولكننا مع ذلك نجد أن برغواطة ظلت باقية مستقلة ، بل كان خطرها يزداد شدة ، وحدودها تزداد اتساعاً على حساب المسلمين المجاورين لها .

ففي كتاب الاتحاف الوجيز لمحمد بن علي الدكالي (١) ، وكتاب آسفي وما اليه لمحمد بن أحمد العبدي (٢) ، نجد ما يفيد من أن الحدود الجنوبية لهذه الدولة قد امتدت جنوب الشاوية على طول سواحل المحيط الأطلسي حتى شملت أقاليم دكّالة وعبدة وغيرها من الأراضي الحوزية (٣) جنوب آسفي ونواحي مراكش ، وان هذه الدولة قد ارغمت أهالي تلك البلاد المسلمين على التدين بديانتها ، فسفكت الدماء ، وخربت البلاد والمدن التي بين سلا وماسة .

ويؤيد هذا الكلام أيضاً ماورواه ابن الزيات التادلي عن رباط شاكر ، القائم حتى الآن بالقرب من مدينة مراكش في طريق الشماعية إلى شيشاوه ويسميه الأهالي هناك سيدي شيكر ، فيقول :

---

(١) محمد بن علي الدكالي السلاوي (توفي ١٩٤٥م) : الاتحاف الوجيز بأخبار الدولتين لمولانا عبد العزيز ، مخطوط بخزانة الرباط رقم D. 1320

(٢) محمد بن أحمد العبدي الكانوني : آسفي وما اليه ص ٧٨ – ٧٩ .

(٣) بلاد الحوز هي المناطق الخصبة التي تحد بوادي أم الربيع ودكالة وعبدة والأطلس ، ويشقها نهر تانسيفت والأودية المتفرعة منه . وقد قسم المغرافيون بلاد الحوز إلى حوز غربي وأوسط وشرقي . ومن حواضر الحوز القديمة ، اغمات وفغيس ، المكان الذي بنيت بعد بنائه وازدهار مدينة مراكش (٤٦٢ هـ = ١٠٧٠ م) .

«ومنها سفرهم فى كل رمضان إلى رباط شاكر الذى ذكر أنه من أصحاب عقبة بن نافع الفهرى ، وأنه مات هناك ، وأن يعلى بن مصلين الراجراجي هو الذى بناه ، وكان يقاتل كفار برغواطة ، وغزاهم عدة مرات ، وأن طبله (وفى قراء أخرى طلله) هو الباقى الآن (١) .

وهذا النص يبين أن رباط شاكر كان مركزاً حربياً لجهاد برغواطة التى امتدت حدودها جنوباً إلى نواحى مراكش . وما يقال عن رباط شاكر يقال أيضاً عن رباطات ماسه وفوز ونفيس التى انتشرت — كما يقول البكرى — على سواحل هذه المنطقة الجنوبية (٢) . . كذلك يذكر الرحالة ابن حوقل أن أمير سجلماسة (تافيلالت الحالية) محمد بن الفتح بن ميمون الذى رفض مذهب الخوارج وتلقب بالشاكر لله ، قد أخذ يدعو قومه إلى جهاد برغواطة فى منتصف القرن الرابع الهجرى ، إلا أنه لم يصل إلى غرضه لأن الفاطميين أسروه ثم قتلوه عندما استولوا على سجلماسة بقيادة جوهر الصقلى سنة ٣٥٤هـ(٣)

هذا إلى جانب ما ذكره صاحب كتاب مشاهير اعيان فاس من أن البرغواطيين فى أوائل القرن الخامس الهجرى كانوا يعيثون فساداً فى بلاد السوس وسجلماسة وان الملثمين اللمتونيين خاضوا معهم فى تلك الأماكن معركة فاصلة سموا على أثرها بالمرابطين (٤)

كل هذا يبين لنا مدى تغلغل الخطر البرغواطى فى هذه النواحى المغربية الجنوبية . أما عن الحدود الشمالية لهذه الدولة ، فالمعروف فى كتب التاريخ ،

---

(١) انظر (أبو يعقوب يوسف التادلى المعروف بابن الزيات : التشوف إلى رجال التصوف ص ٢٦ ، نشر ادولف فور ، الرباط ١٩٥٨) ، راجع كذلك (عبد الحى الكتانى : اشرف بقعة وأقدس — بناحية مراكش ، مجلة المغرب ، السنة الخامسة ، يونيو — يوليو ١٩٣٦).

(٢) البكرى : نفس المرجع ص ٨٦ ، ١٦٠ ، ١٦١ .

(٣) ابن حوقل : نفس المرجع ص ٥٧ — ٤٨ ، راجع كذلك (البكرى ص ١٥١ ، ابن خلدون العبر ج ٦ ص ١٢٢) .

(٤) راجع (مجلة البحث العلمى ، العدد الثالث ، سبتمبر — ديسمبر ١٩٦٤ ص ٣٤) .

انها كانت تصل إلى قرب موضع مدينة الرباط ، العاصمة الحالية للمملكة المغربية .

وواضح من اسم هذه المدينة وتاريخها أنها كانت فى الأصل رباطاً لجهاد برغواطة وفى ذلك يقول ابن حوقل فى القرن الرابع الهجرى :

«ومن وراء وادى سبو (١) إلى ناحية بلد برغواطة على نحو بريد (٢) وادى سلا (٣) ، اليه تنتهى سكنى المسلمين ، وهى رباط يرابط فيه المسلمون وعليه المدينة الأزلية المعروفة بسلا القديمة ( يعنى شالة ) قد خربت والناس يسكنون ويرابطون برباط يحف(٤) بها ، وربما اجتمع فى هذا المكان

---

(١) وادى سبو Sbou من أعظم الأودية بالمغرب ، ينبع من جبل أطلس المتوسط وتتفرع منه عدة أودية تسقى نواحى فاس ومكناس ومنطقة الغرب ، ويصب فى المحيط الأطلسى قرب مدينة المهدية الحالية بعد مروره بالقنيطرة ، وطوله حوالى ٦٠٠ كيلو متر ، وتعالى البلاد من كثرة فيضاناته .

(٢) هى المسافة التى كان يقطعها عامل البريد ، وقد قدرها الفقهاء وعلماء المسالك بأربعة فراسخ ، والفرسخ ثلاثة أميال ، أى أن البريد هو مسافة اثنى عشر ميلا تقريباً .

(٣) المراد بوادى سلاهنا هو الوادى الصغير الذى يفصل بين مدينتى سلا والرباط ، وهو المعروف الآن بوادى أبى الرقراق (بورجرج) ويصب فى المحيط الأطلسى . وأبو الرقراق تسمية حديثة ذكرها الحسن الوزان ( ليون الافريقى ) فى القرن السادس عشر الميلادى فى كتابه المعروف بوصف افريقيا الذى كتبه بالايطالية ثم ترجم إلى معظم اللغات ما عدا العربية للأسف . أما الجغرافيون والمؤرخون القدماء فقد أطلقوا على هذا الوادى عدة أسماء مثل وادى الرمان ووادى الغبط ووادى أسير ووادى سلا وابج (ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الثالث ، ص ١٨٥ حاشية ١ ، ٢) .

(٤) يفهم من هذا النص انه كان يوجد فى هذه المنطقة ، رباطان متجاوران يفصل بينهما وادى سلا أو أبو الرقراق الحالى ، أحدهما كان فى مدينة سلا الحالية ، والثانى كان فى مواجهتها فى مكان مدينة الرباط الحالية بجوار الاطلال شاله . ومن المعروف أن الموحدين هم الذين حولوا هذا الرباط الأخير إلى مدينة عامرة أسموها رباط الفتح ، إذ كانت جيوشهم تتجمع فيها لتجهيزها وتموينها قبل أن تتجه إلى أسبانيا برسم الجهاد والفتح . حول تاريخ هذه المدينة التى أصبحت عاصمة للمملكة المغربية راجع : أبو عبد الله برجندار : مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح (الرباط ١٣٤٠هـ) راجع كذلك : (J. Caillé : La Ville de Rabat, 3 tomes (Paris 1945).
وأيضاً (محمد بن على الدكالى السلاوى : الاتحاف الوجيز بأخبار الدولتين لمولانا عبد العزيز ، مخطوط بخزانة الرباط رقم D. 1320).

من المرابطين مائة ألف انسان يزيدون وينقصون ، ورباطهم على برغواطة ، وهي قبيلة من قبائل البربر على البحر المحيط متصلين بهذه الجهة التي شغّت(١) عمارة بلد الاسلام اليها (٢) .

على أن تحديد ابن حوقل لموضع مدينة الرباط ، كحد فاصل تنتهي عنده عمارة الاسلام ، لم يحل دون تغلغل نفوذ البرغواطيين وراءه نحو الشمال.

فابن الخطيب يشير إلى أن البرغواطيين اتخذوا من شالة عاصمة لهم في بعض الأوقات (٣) كذلك نجد في كتاب اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ، للمولى عبد الرحمن ابن زيدان ، مايفيد بأن أمراء برغواطة قد امتد نفوذهم إلى شمال الرباط وانهم استولوا على مدينة المعمورة (٤) (المهدية الحالية) من ايدي بني يفران الزناتيين حكام سلا ، وأنهم خربوها فيما خربوه من المدن (٥) .

أكثر من ذلك ، إذا نحن صعدنا شمالا إلى منطقة سبتة وطنجة ، نجد أن هذه البلاد كان يحكمها بعض مماليك الحموديين ، الذين كانوا في الأصل من سبي برغواطة ثم ولاهم الحموديون بعض أعمالهم في سبتة ، فانتهز أحدهم وانهم سقوت أوسواجات البرغواطي ، فرصة ضعف الحموديين ، واستبد بحكم سبتة ، وعين ولده الحاجب ضياء الدولة على طنجة ، وطرد الحموديين من هذه المنطقة ، ولم تلبث قبائل غمارة أن دانت له بالطاعة (٦) .

---

(١) شغت بمعنى قلت أو نقصت أو انتهت .

(٢) راجع (ابن حوقل : صورة الأرض جـ ٢ ص ٥٦ (نشرة دي خوية ، ليدن ١٨٧٣)

(٣) ابن الخطيب أعمال الأعلام : القسم الثالث ، ص ١٨٤ .

(٤) مدينة المهدية الحالية بالمغرب الأقصى كانت تعرف قديماً بحلق الوادي (سبو) أو المعمورة ثم سميت بالمهدية أيام المولى اسماعيل سنة ١٠٩٢هـ (١٦٨١م) عندما ضيق الحصار على الجيش الأسباني المرابط فيها ، فخرج اليه قائد الجيش مستسلما وبيده مفاتيح المدينة كهدية السلطان فأسنه وقبل هديته ثم دخل المدينة وسماها المهدية . والمدينة تقع على ساحل المحيط عند مصب واد سبو بالقرب من القنيطرة .

(٥) راجع (عبد الرحمن بن زيدان : اتحاف اعلام الناس جـ ٢ ص ٧٢ ، الرباط ١٩٢٠)

(٦) راجع (ابن خلدون : كتاب العبر جـ ٦ ص ٢٢١) .

ويحق لنا أن نتساءل عما إذا كانت ثمة علاقة بين هذه الامارة البرغواطية الشمالية وبين دولة برغواطة التي كانت في جنوبها ؟

النصوص القليلة التي لدينا في هذا الصدد تربط بين هاتين الدولتين وتؤكد وجود اتصال بينهما ومثال ذلك قول صاحب كتاب مفاخر البربر .

«وكان ظهور برغواطة في سنة ١٢٥ هـ في خلافة هشام بن عبد الملك، ولم يزل الملك فيهم إلى أول ظهور الملثمين وخروجهم من الصحراء وآخر ملوك برغواطة هو الحاجب البرغواطي ضياء الدولة صاحب سبتة وطنجة» (١)

كذلك يقول ابن خلدون حين يصف شعوب تلك المنطقة :

«وبعضد ذلك اتصال مواطن عمارة بمواطن برغواطة من شعوب المصامدة على ساحل البحر الغربي وهو المحيط: (٢)

كل هذا يفهم منه أنه كان هناك استمرار أو اتصال سياسي بين الدولتين وان كنا نشك في أن يكون سقوت البرغواطي وزملاؤه قد اتبعوا ديانة برغواطه المارقه بحكم اتصالهم بالحموديين الأشراف الأدارسة منذ صغرهم ، وقد يؤيد ذلك ما رواه ابن عذارى من أن سقوط البرغواطي ، طلب من ابي الوليد بن جهور امير قرطبة قارئا للقرآن . فعلق ابن جهور على هذا الطلب بقوله : "جاهل يطلب قارئا" ثم وجه اليه قارئا من طلبة قرطبة اسمه عون الله بن نوح (٣) . فهذه العبارة وإن كان فيها شيء من الاحتقار بشخصية سقوت إلا إنها لاتنكر كونه مسلما .

ولكن على الرغم من ذلك فان معظم المؤرخين قد أجمعوا على أن سقوت البرغواطي كان رجلا مفسداً على غرار أسلافه البرغواطيين ، وأن أساطيله قد عاثت فساداً في مضيق جبل طارق ، وأضرت بمصالح المسلمين في منطقة العدوتين ، ومثال ذلك قول ابن بسام : " ... من رجل امتحن بالشر ،

---

(١) كتاب مفاخر البربر ، نشر ليفي بروفنسال ص ٤٧ .

(٢) ابن خلدون : كتاب العبر ج ٦ ص ٢١٠ — ٢١١ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣/ ص ٢٥٠ ، نشر بروفنسال (باريس ١٩٣٠) .

وتهاون بالأمر ، لاسيما فى البحر ، فانه أضرم بلجه ناراً ولقى ريحه إعصاراً أخذ كل سفينة غصبا ، وأضاف إلى كُلِّ رعباً ، فضجت منه الأرض والسماء ، والتقت الشكوى عليه والدعاء ... إلى أن أذن الله لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين .... الخ (١) .

مما تقدم نرى أن المغرب فى هذه الفترة التى سبقت مجئ المرابطين ، كان يعانى محنة كبيرة من جراء هذه الدولة البرغواطية التى يبدو أن خطرها كان أشد وأقوى مما تصوره كتب التاريخ ، خصوصا بعد أن تبين لنا اتصالها وتعاونها مع قبائل غمارة فى جبال الريف .

الطائفة الثالثة وهى للدول الزناتية :

ونعنى بذلك قبائل مكناسة ومغراوة وبنى يفرن وغيرها من القبائل الزناتية التى تداولت حكم المغرب قبل مجئ المرابطين . وهذه الدول الزناتية ، كانت فى نظر المؤرخين ، ولاسيما بعد زوال نفوذ الأدارسة ، هى القوة الشرعية الحاكمة فى المغرب على اعتبار انها كانت سنية مسالمة .

وعلى الرغم من المنازعات والمنافسات الداخلية التى قامت بين هذه القبائل الزناتية فانها قامت بدور ايجابى فعال فى جهاد برغواطة ، ونلاحظ ذلك بوضوح من المواضع أو المراكز التى استقرت فيها هذه الإمارات الزناتية ، إذ نجد أنها كانت تكون نطاقاً أو تضرب حصاراً حول هذه التكتلات السابقة ولاسيما برغواطة . ومن أهم تلك المراكز الزناتية نذكر :

إمارة سلا وكان يحكمها بنو يفرن ، وفاس ويحكمها مغراوة ، وتادلا ويحكمها بنو يفرن واغمات ويحكمها مغراوة ، ثم سجلماسة فى أقصى الجنوب ويحكمها بنو خزرون المغراويون. وكانت إمارة سلا فى أيام أميرها ابى الكمال تميم اليفرنى — فى أوائل القرن الخامس الهجرى — من أشد الامارات وطأة على برغواطة . يروى صاحب القرطاس والسلاوى الناصرى فى هذا

(١) نقل هذا النص ، صاحب مفاخر البربر ص ٥٥ — ٥٦ .

هذا الصدد : " وكان أبو الكمال تميم اليفرانى ، مستقيما فى دينه ، مولعاً بجهاد برغواطة ، كان يغزوهم مرتين فى السنة إلى أن توفى سنة ثمان وأربعين واربعمائة وفى سنة اثنتين وستين واربعمائة ، قتل ابنه فى حرب لمتونة ، فجاءوا به ليدفنوه إلى جانب قبر ابيه تميم ، فسمعوا من قبره تكبيراً وتشهدا كثيرا ، فنبشوا قبره ، فألفوه لم يتغير منه شئ ، ثم رآه بعض قرابته فى النوم ، فقال له : ماهذا التكبير والتشهد الذى سمعناه من قبرك قال : تلك الملائكة ، وكلفهم الله بقبرى ، يكبرون ويهللون ويسبحون ، ويكون ثواب ذلك لى إلى يوم القيامة . قال وبم نلت ذلك ؟ قال بجهادى برغواطة (١) . هذه الرواية وان كانت تتسم بطابع قصصى ، الا أنها تبين أن حرب برغواطة كانت فى نظر المسلمين واجباً دينياً وجهاداً فى سبيل الله .

وعلى الرغم من تلك الجهود الطيبة التى قامت بها بعض هذه الدويلات فى جهاد برغواطة ، إلا أنها كانت عاجزة تماما فى القضاء عليها ، وصار الأمر يتطلب قوة أخرى جديدة تحل محلها فى هذا الميدان الذى أخفقت فيه .

الطائفة الرابعة من روافض الشيعة والوثنيين :

هذه الطائفة عبارة عن أقليات مبعثرة من روافض الشيعة والوثنيين الذين استقلوا بحكم بعض النواحى فى أقصى جنوب المغرب فى بلاد السوس .

اما الشيعة ، فقد انتشروا بصفة خاصة فى مدينة تارودانت ونواحيها وكانوا يعرفون باسم البجليين (٢) . وقد أختلفت الآراء حول مذهبهم وتاريخ تشيعهم : فصاحب القرطاس ومن نقل عنه مثل السلاوى الناصرى ، يرون أن هؤلاء الشيعة كانوا اسماعيلية وانهم ينتسبون إلى على بن عبد الله

(١) ابن أبى زرع : روض القرطاس حـ ١ ص ١٧١ — ١٧٢ ، السلاوى : الاستقصا حـ/١ ص ٢٢١

(٢) قال القلقشندى فى كتابه نهاية الأرب فى معرفة انساب العرب ص١٧١ : وبنو بجلة بفتح الباء واللام وسكون الجيم بينهما ، بطن من بجلة (بضم الباء) العدنانية . وبجلة أمهم نسبوا اليها وهى بجلة بنت هناءة بن مالك بن فهم الازدى . والنسبة اليهم بالتسكين .

البجلي الرافضي الذي نزل بلاد السوس أيام حركة الخليفة عبيد الله المهدي بافريقية ، وهناك في بلاد السوس نشر مذهب الرافضة وتوارثوه عنه جيلا بعد جيل (١) . أما ابن حوقل وكذلك الادريسي ، فيذكران أن هؤلاء الشيعة كانوا موسوية أي أثنا عشرية يقولون بامامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، ولا يعترفون بامامة أخيه اسماعيل امام الاسماعيلية . ويضيف ابن حوقل أن هؤلاء الشيعة كانوا ينتسبون إلى رجل يدعى محمد بن ورصند البجلي ، وأنهم كانوا على عداء مع جيرانهم المالكية في السوس ، وان القتال والثأر متصل بينهم ليلا ونهاراً ، وأنه كان لهم مسجد واحد يصلي فيه الفريقان فرادى ، فاذا صلى هؤلاء أتوا هؤلاء وهكذا ، ثم يصف ابن حوقل طباع هؤلاء القوم سواء أكانوا مالكية أو موسوية فيرميهم بالجهل والجفاء وغلظ الطبع .. الخ (٢) .

أما البكري وابن حزم ، فروايتهما تناقض هذه الروايات السابقة من حيث المذهب . فيقولان بأن هذه الطائفة كانت تنسب إلى رجل من أهل نفطة من أعمال قفصة جنوبي تونس ، يسمى الحسن بن علي بن ورصند البجلي ، وأن هذا الرجل رحل إلى بلاد السوس قبل وصول ابي عبد الله الشيعي الداعي إلى افريقية وان مذهبه كان شبيهاً بمذهب الروافض ، إلا أنه كان يقول بان الامامة لا تكون الا في سلالة الحسن بن علي بن أبي طالب وليس الحسين كما تقول الاسماعيلية والاثنا عشرية ولهذا كانت أمامة البجليين في سلالة الأداوسة . وقد رماهم ابن حزم بالكفر والالحاد (٣) أما الرحالة المقدسي ، فانه انفرد برواية خاصة تعنى فيها هذه الطائفة بالادريسية

---

(١) ابن ابي زرع : روض القرطاس ـ ٢ ص ٢١ ، السلاوي : الاستقصا ـ ٢ ص ١٣

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٥٦ – ٦٦ الادريسي : وصف افريقيا الشمالية والصحراوية (من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) نشر هنري بيريس ص ٣٩ الجزائر سنة ١٩٥٧) .

(٣) البكري : المغرب في وصف افريقية والمغرب ص ١٦١ ، نشر دي سلان (الجزائر ١٩١١) ابن حزم : كتاب الملل والنحل ـ ٤ ص ١٨٣ .

وقال إن مذاهبهم كانت قريبة من مذهب القرامطة ، ثم ربط بين المعتزلة والشيعة وقال بأنهم جميعاً يقولون بمذهب الاستاعيلية (١) .

ومهما يكن من شيء ، فان اختلاف المؤرخين حول تحديد مذهب هذه الطائفة ، لم يحل دون اتفاقهم جميعا على أن هؤلاء البجليين كانوا من روافض الشيعة وأنهم كانوا أعداء الداء للمذهب السني في المغرب .

اما من جهة العناصر الوثنية التي كانت أيضا تقيم في تلك الجهات الجنوبية ، فرجعنا فيها هو كتاب البكري الذي أشار إلى قبيلة مجاورة للبجليين ، كانت تقيم في جبل وعر بنواحي الأطلس الكبير ، وكان أفرادها يعبدون الكبش ، ويتستّرون عند دخول الأسواق (٢) . ومن المعروف أن الكبش كان الها في مصر الفرعونية ويسمى بالاله خنوم ، فهل هذه العبادة كانت من رواسب مؤثرات مصرية قديمة ؟

من هذا العرض العام لهذه الدويلات الطائفية ، يتبين لنا أن المغرب في ذلك العهد ، كان يعاني محنة دينية وسياسية خطيرة ، وأنه كان في حاجة إلى معجزة تنقذه من هذا الموقف العصيب ، وهنا يأتي دور المرابطين . ولا شك أن المرابطين كانوا على علم تام بخطورة الحالة في المغرب ولاسيما بخطورة برغواطة ، أقوى دولة طائفية في المغرب في ذلك الوقت . وقد سبق أن أشرنا إلى أن شيخ المالكية بالقيروان أباعمران الفاسي ، حينما رسم خطة قيام دولة الملثمين مع زعيمهم يحيى بن ابراهيم الجدالي أوصاه بحرب برغواطة بصفة خاصة . وقد يؤيد ذلك أيضا أن الفقيه الذي أختير لمهمة هداية الملثمين وتوجيه

---

(١) راجع (المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٢٣٨ (نشر دي خوية ١٨٧٧) هذا وقد أشار اليعقوبي والبكري والادريسي إلى أن ملكة الأدارسة كانت موطناً للاعتزال وأن عبد الله والد المولى ادريس ، كان يعتبر في الطبقة الثالثة من طبقات المعتزلة ، وان قبيلة أوربه التي ساندت المولى ادريس كانت تدين بالاعتزال راجع مقالنا (الموحدون والوحدة الاسلامية في مجلة التربية الوطنية المغربية ، العددان ١ ، ٢ ، مارس ، ابريل ١٩٦٢) .

(٢) البكري ص ١٦١ .

صفوفهم وهو عبد الله بن ياسين ، كان على علم تام بأحوال برغواطة قبل دخوله الصحراء ، وقد وصف ابن عذارى رحلة هذا الفقيه فى بلاد المغرب وصفا مدعما بالأرقام ، وأغلب الظن أنها كانت رحلة استطلاعية تتعلق بالمهمة التى وكلت اليه ، وفى ذلك يقول ابن عذارى : " ثم نزل عبد الله ابن ياسين بلاد المغرب الأقصى فربتا سنا ، فوجد فيها أمما لاتحصى ، أكثرهم تحت امراء البرغواطة وكان عسكر امراء برغواطة أكثر من ثلاثة آلاف ، وانضاف اليهم من سائر القبائل مابين فارس وراجل ، أزيد من عشرين الفا من جراوه وزغاره ومطغره والبرانس وركونه وغيرها"(١)

كذلك يشير صاحب القرطاس إلى اهتمام المرابطين بأمر برغواطة بقوله : فلما علم عبد الله بن ياسين بحال برغواطة وما هم عليه من الضلال ، رأى أن الواجب الدينى يقتضى تقديم جهادهم على غيرهم"(٢) .

وفى هذا المعنى يقول لسان الدين بن الخطيب :

"وظهر أمر الملثمين ، ودعوتهم راجعة إلى أساس من فقه ودين ، فجعلوا من برغواطة جهاداً قريباً"(٣) .

ثم يأتى صاحب كتاب الاستبصار فيقولها كلمة صريحة :

"وكان خروج هذه القبائل الصحراوية لقتال برغواطة المرتدين عن ديانة الأسلام"(٤) .

وواضح من كل ماتقدم من نصوص أن المرابطين كانوا أصحاب رسالة سامية وأن خروجهم من الصحراء كان مرسوما وفق خطة موضوعة تقوم

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب أو البيان المراطى : وهى قطعة خاصة بتاريخ المرابطين نشرها المستشرق الاسبانى أريبى ميراندا فى مجلة (Hésperis Vol 11, 1961, p. 48)

(٢) ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ٢ من ٢٧ .

(٣) ابن الخطيب : كتاب أعمال الاعلام ، القسم الثالث الخاص بتاريخ المغرب ص ١٨٦

(٤) كتاب الاستبصار ، نشر سعد زغلول ص ٢٠ .

على القضاء على أهل الزيغ والضلالة من البرغواطيين وغيرهم . كذلك كان للمرابطين الى جانب هذاسياسة اصلاحية لم تلبث أن ظهرت نتائجها واستقرت أوضاعها فى المغرب منذ بداية دولتهم إلى يومنا هذا ، وهذه السياسة تقوم على عدم السماح بتعدد المذاهب الدينية التى انتشرت بشكل ملحوظ فى المغرب كالخوارج والشيعة والمعتزلة والحنفية والمالكية ، مما جعل البلاد عرضة للفتن والخلافات المذهبية . ولما كان المغرب كالاندلس ، يعتبر ثغرا للاسلام فى أقصى الغرب ، فقد حرص المرابطون على الاكتفاء بسياسة المذهب الواحد وهو المذهب المالكى الذى قامت عليه دولتهم ، فتمسكوا به واتخذوه أساساً فى كل مايرجعون اليه من أمور دينية ودنيوية. وكان الأندلس قد سبق المغرب فى هذا المضمار منذ أيام هشام بن عبد الرحمن الأموى فى القرن الهجرى الثانى ،إذ يروى المقدسى فى هذا الصدد أن فريقين من الحنفية والمالكية تناظراً يوماً بين يدى السلطان فقال لهم : من أين كان أبو حنيفة ؟ قالوا : من الكوفة فقال : ومالك ؟ قالوا : من المدينة ، قال عالم دار الهجرة يكفينا، فأمر باخراج أصحاب أبى حنيفة وقال : لاأحب أن يكون فى عملى مذهبان" (١). ولا شك أن هذه السياسة قد حفظت لهذه الثغور الاسلامية سلامتها ووحدتها الروحية فكانت لذلك درعا حاميا للاسلام فى أقصى الغرب .

ومن الطريف أن الممالك المسيحية التى كانت متاخمة للمسلمين فى هذه المنطقة وأعنى بذلك اسبانيا ، قد اتبعت هى الأخرى سياسة المذهب الدينى الواحد باعتبارها هى الأخرى ثغرا للمسيحية فى هذه المنطقة ، فاقتصرت على المذهب الكاثوليكى وتعصبت له حتى ضرب بها المثل فقيل إنها أكثر تعصباً للبابوية أى للكاثوليكية من البابا نفسه"Mas Papista que el Papa" .

وهذه العبارة تذكرنا بموقف أهل الأندلس من المذهب المالكى عند قول المقدسى على لسانهم"وهم يقولون ولا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك(٢) .

---

(١) راجع Al Muqaddasi : Description de L'occident musulmane au IV=X siecle , texte arabe et traduction francaise Par Charles Pellat. P. 44 (Alger 1950)

(٢) نفس المرجع السابق ص ٤٠

## غزو المرابطين للمغرب :

خرج المرابطون من الصحراء يقودهم زعيمهم الديني عبد الله بن ياسين، وقائدهم الحربي أبو بكر بن عمر اللمتوني . فاتجهوا أولا إلى بلاد السوس واستولوا على قاعدتها تارودانت ، وقضوا على الشيعة والوثنيين كما قاتلوا اليهود المنتشرين في تلك النواحي فأعادوا بذلك تلك المناطق إلى مذهب أهل السنة والجماعة (١) .

ثم اتجهوا بعد ذلك إلى بلاد الحوز واستولوا على عاصمتها أغمات ، وقد ترتب على هذا الفتح أن قتل أمير أغمات لقوت المغراوي ، وتزوج الامير أبوبكر بن عمر ارملته زينب النفزاوية التي أشاد المؤرخون بمحامدها وذكائها.

ونظراً لأهمية أغمات كمدينة متحضرة من جهة ، ولقربها من الصحراء من جهة أخرى ، فقد اختارها المرابطون عاصمة مؤقتة لهم إلى أن تم بناء عاصمتهم الجديدة مراكش التي أسسها اميرهم أبو بكر بن عمر سنة ٤٦٢هـ (١٠٧٠) (٢) .

وتحركات المرابطين بعدا استيلائهم على اغمات ، نجدها تتجه نحو هذه التكتلات الرئيسية المارقة : برغواطة وغمارة . اتجه عبد الله بن ياسين وأبوبكر بن عمر اللمتوني نحو برغواطة ، بينما اتجه القائد يوسف بن تاشفين بعد ذلك نحو غمارة . ويبدو من تحركات جيوش المرابطين ، أن العمليات العسكرية الرئيسية التي قاموا بها قد دارت في الشمال بصفة خاصة . فبالقرب من مدينة الرباط الحالية في منطقة زعير دارت معركة عنيفة بين المرابطين والبرغواطيين ، استشهد فيها زعيم المرابطين عبد الله بن ياسين (٣) سنة ٤٥١ هـ (١٠٥٩ م) . مات هذا الزعيم على الرغم من نصائحه ومبادئه التي

---

(١) روض القرطاس ـ ٢. ص ٢١ ـ ٢٤

(٢) راجع مقالنا حول أهمية كتاب الحلل الموشية في مجلة تطوان ، العدد الخامس ١٩٦٠)

(٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ، ص ٢٣٠

كان يرددها دائماً من أن حياة الجيش تتوقف على حياة قائده ، إذ يروى أنه غضب يوما على الأمير يحيى بن عمر اللمتونى ، وضربه بالسوط على رجله لأنه عرض حياته للخطر أثناء القتال وقال له : " أن الأمير لايدخل القتال بنفسه لأن حياته حياة جنده ، وهلاكه هو هلاكهم " (١) ولكن تشاء الأقدار أن يقع هو نفسه فى هذا المحظور . ودفن عبد الله بن ياسين على ربوة قريبة من الرباط تطل على وادى كريفلة أحد فروع وادى أبى الرقراق ، ولا يزال قبره هناك فى هذا المكان ويسميه أهالى تلك الناحية سيدى عبد الله مول الغارة (٢) .

وتولى الأمير أبو بكر بن عمر اللمتونى زعامة المرابطين الروحية والعسكرية ، وأخذ يعمل على توحيد صفوفه من جديد بعد تلك الكارثة التى حلت بجيوشه من جراء وفاة زعيمهم الروحى عبد الله بن ياسين ، فيروى ابن الأثير أن أبا بكر بن عمر صلى بجنوده ، ثم دعا ربه بدعاء سمعه معظم جيشه : " اللهم أن كنا على حق فانصرنا ، وإلا فأرحنا من هذه الدنيا" ثم اندفع بجنوده نحو برغواطة فاستأصل شأفتهم وعادعوتهم وأسلم الباقون منهم إسلاماً جديداً (٣) .

أما الحملة التى قام بها يوسف بن تاشفين فى بلاد غمارة ، فأنها اتخذت نفس الهدف والاتجاه ، إذ يفهم من كلام المؤرخين أن يوسف بن تاشفين قد تحاشى الاصطدام بالقوات الزناتية ، وأنه دخل فاس صلحا سنة ٤٥٠ هـ وترك فيها حامية صغيرة ثم تقدم صوب الشمال إلى بلاد غمارة ، ففتح جبالها وبلادها من الريف إلى طنجة واستعان فى مهاجمتها بحصون وقلاع أسسها فى مواجهتها مثل حصن تاودا أو بنى توده وحصن Amergo أمرجو ،

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، الجزء الخاص بالمرابطين فى (Hespéris, Vol. II, 1961)

(٢) راجع (Jacques Caillé : La Ville de Rabat, tome I p. 43)

(٣) ابن الأثير : الكامل حـ ٩ ص ٢٥٩ ويفهم من روايات بعض المؤرخين ان القضاء النهائى على برغواطه لم يتم الا فى عهد الموحدين على يد خليفتهم الأول عبد المؤمن بن على الكومى راجع (ابن ابى زرع : روض القرطاس حـ ٢ ص ١٤٢ - ١٤٥).

وقد أشاد المؤرخون بمناعة تلك الحصون وبالدور الهام الذى قامت به فى فتح هذه البلاد وتطهيرها من الفساد المنتشر فيها ، ومثال ذلك قول صاحب كتاب الاستبصار :

"وكانت تاودا مدينة كبيرة ، أسسها الملثمون ليتملكوا منها جبل غمارة ، وكان يسكنها ولاة المغرب منهم بالعسكر وكانت فى أيامهم معمورة بالمبانى الحسان والقصور المنيعة ، وهى على وادى ورغه ، وعليها جبل منيف ، فيه حصن كبير من بناء الملثمين يسمى أمرجو ، وهو مبنى بالحجارة والجير ، لايقدر أحد على هدم شئ منه إلا بالمشقة" (١) .

وما زالت اطلال مدينة تودا باقية إلى اليوم شمالى فاس بنحو تسعين كيلو مترا فى طريق وزان وتعرف الآن بقلعة فاس البالى (٢) .

ومن الطريف أنه توجد فى مصر الآن أسرة معروفة باسم التودى ، فلعلها تنتسب فى الأصل إلى هذه المدينة المغربية العاهدة .

وبينما كان يوسف بن تاشفين يحارب غمارة فى الشمال ، إذا بالزناتيين فى فاس يتكتلون ضده ويقتلون حاميته ويستولون على المدينة ، فاضطر يوسف أن يعود ادراجه وان يقاتل الزناتيين وينتصر عليهم ثم يدخل فاس للمرة الثانية سنة ٤٦٢ هـ (٣).

ولقد ذهب بعض المؤرخين المحدثين إلى أن يوسف بن تاشفين قد أخطأ خطأ حربياً جسيما باندفاعه نحو غمارة أولا ، وتركه للزناتيين يتكتلون وراءه

---

(١) كتاب الاستبصار ص ١٩٠ .

(٢) هدمت تودا فى أوائل أيام الموحدين ، ثم عادت فعمرت من جديد إلى أن هدمها أول ملوك السعديين أبو عبد الله القائم بأمر الله فى أوائل القرن السادس عشر ، ومازالت انقاضها تحتل مساحة كبيرة . ومن اطلالها جدار ارتفاعها ٣ إلى ٥ متر وحمام مربع الشكل مقسم إلى ثلاث غرف . راجع (الصديق بن العربى : كتاب المغرب ص ١١٩ ، عبد العزيز ابن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية جـ ٢/ ص ٥٤) كذلك (Le guide Blue : Maroc. p. 395)

(٣) السلاوى الناصرى : كتاب الاستقصا جـ ٢ ص ٢٧

ويتقنون حمايته فى فاس ، واتجهوا إلى أمام يوسف بن تاشفين بالطمع والاندفاع (١) . والواقع اننا بعد أن بينا أهداف المرابطين التى قامت على تقديم جهاد المارقين قبل أى جهاد آخر ، ندرك لماذا بادر المرابطون إلى قتال برغواطة وغمارة قبل الزناتيين فخطة الغزو المرابطى نراها واضحة وسليمة ومدبرة تدبيراً محكماً .

مما تقدم نرى أن المرابطين قد نجحوا إلى حد كبير فى تحقيق رسالتهم ، ولعل أبسط دليل على ذلك هو أن تلك المناطق التى كانت موطناً للمتنبئين وذوى العقائد المضعضعة ، قد أصبحت فى القرنين السادس والسابع أى فى عهد المرابطين ثم الموحدين بعدهم ، من أشد المناطق تديناً ، بل واغراقاً فى الزهد والتصوف :

ففى جبال غمارة ، ظهر عدد كبير من الصلحاء والمتصوفة الذين أفرد لهم عبد الحق البادسى كتاباً خاصاً تحت عنوان : "المقصد الشريف والمنزع اللطيف فى ذكر صلحاء الريف» (٢) . وحسبى ان أشير إلى بعض أقطابهم أمثال عبد السلام بن مشيش وتلميذه أبى الحسن الشاذلى (٣) . كذلك يلاحظ أن عادة تربية الشعور بين رجال غمارة التى وصفها البكرى فى أوائل القرن الخامس الهجرى ، قد اختفت بعد ذلك فحلق الناس رؤوسهم ، وورث ذلك الأبناء عن الآباء — وقد لاحظ هذا التغير صاحب كتاب الاستبصار فى القرن السادس الهجرى وعلل ذلك بانه نتيجة لتغلغل الاسلام(٤) فى بلادهم. أما المنطقة الغربية والجنوبية التى كانت مهداً للبرغواطيين فقد تحولت هى

---

(١) راجع على سبيل المثال (دكتور محسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٢٠٣) .

(٢) هذا الكتاب ألفه عبد الحق البادسى سنة ٧١١ هـ (١٣١١ م) وقد ترجمه إلى اللغة الفرنسية المستشرق الفرنسى g. s. Colin كولان فى (Archives Marocaines XXVI, paris 1926)

(٣) هو تقى الدين أبو الحسن على بن عبد الجبار الشاذلى (٥٩٣ — ٦٥٦ هـ = ١١٩٧ — ١٢٥٨ م) راجع ما كتبه عنه الدكتور جمال الدين الشيال فى كتابه أعلام الاسكندرية فى العصر الاسلامى ص ١٦١ (القاهرة ١٩٦٥) .

(٤) كتاب الاستبصار ص ١٩٣ .

الأخرى إلى مسرح خصب لحركة صوفية شعبية قوية . ويكفي أن نشير إلى سلسلة الرباطات التي انتشرت على طول الساحل الغربي في آنفا وأزمور وآسفي وتيط وغيرها . هذا إلى جانب الصلحاء والمريدين والمتصوفة الذين ظهروا بكثرة في هذه المنطقة على عهد المرابطين والموحدين وقد أفرد لهم ابن الزيات التادلي كتاباً خاصاً تحت عنوان : «التشوف إلى رجال التصوف»(١).

هذا ويلاحظ أن هذه الحركة الصوفية كانت في ذلك الوقت سليمة وبعيدة عن الشوائب والبدع ، لأن المشرفين على حكم المغرب في ذلك الوقت كانوا متشبعين بالروح الصوفية السليمة ، فلم يسمحوا لظهور أي بدعة في بلادهم . وقد عبر عن هذه الحالة ، الامام الزاهد أبو بكر الطرطوشي نزيل الاسكندرية ، عندما بعث برسالة إلى سلطان المغرب يوسف بن تاشفين يذكره فيها بالحديث النبوي الشريف :

«لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة» ثم يضيف معقبا : والله أعلم ، هل أرادكم بذلك رسول الله (صلعم) ، أو أراد أهل المغرب لما هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع»(١) .

## جهاد المرابطين في السودان الغربي :

لم تقتصر مآثر المرابطين على جهاد المارقين في بلاد المغرب شمالا ، بل امتدت إلى جهاد الوثنيين في بلاد السودان جنوباً ، وكان لها من النتائج الهامة مثل ما كان لجهادهم في الشمال .

وكان يحكم بلاد السودان الغربي في ذلك الوقت ، مملكة غانا التي تعتبر أقدم دولة في غرب افريقيا شمالي نطاق الغابات . وقد رجع المؤرخون

---

(١) هذا الكتاب ألفه ابن الزيات في القرن السابع الهجري ، وقد تحاشى ذكر الأحياء من معاصريه . وقد نشر هذا الكتاب المستشرق الفرنسي ادولف فور في الرباط سنة ١٩٥٨ م .

(٢) راجع : عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص ١٥ ، عبد العزيز ابن عبد الله : الفكر السني بالمغرب ، مجلة البينة ، (الاعداد : ٤ ، ٦ ، ٧ سنة ١٩٦٢).

أن تاريخ نشأتها يرجع إلى القرن الثالث الميلادى ، وانها كانت تسمى بامبراطورية بافور ، ثم أطلق عليها بعد ذلك اسم غانا وهو اللقب الذى كان يحمله ملوكها ، ثم توسعوا فى استعماله حتى صار يشمل اسم الدولة والعاصمة معاً . ولقد اندرست مدينة غانا العاصمة واندرست معالمها ، الا أن الحفريات التى قام بها العلماء ، قد كشفت عن مدائن تمتد عدة كيلو مترات قرب مدينة النعمة فى منطقة الحوض من موريطانيا على مسافة ثلاثمائة كيلو متر من باماكو ، وهى تشهد بحضارة دولة غانا ورقيها (١) .

وكان ملوك هذه الدولة وعامة شعبها يدينون بالوثنية ، إلا أنه كانت توجد بينهم أيضاً أقلية إسلامية لها مساجدها وتتمتع بحرية تامة فى مزاولة شعائرها الدينية . وقد أعطانا المؤرخون والجغرافيون والرحالة العرب أمثال ابن حوقل والبكرى ، صورة واضحة عن مدى ما بلغته هذه الدولة من حضارة ورقى .

ويبدو أن هذه الدولة قد بلغت أوج عزها وعظمتها فيما بين القرن الثالث وأوائل الخامس الهجرى ، وأن نفوذها قد امتد إلى تمبكتو شرقاً وبلاد التكرور أو السنغال غرباً ، وينابيع النيجر جنوباً ، وأغلب الصحراء الغربية (موريطانيا) شمالا .

ولم تكن العلاقة طيبة بين مملكة غانا وبين جيرانها الملثمين فى الشمال . فقد كثرت المنازعات بينهما ، وحاول كل منهما أن يعتدى على أرض الآخر . وكثيراً ما استغلت غانا تفرق شمل هذه القبائل الصنهاجية ، كى تبسط سيطرتها على هذه المنطقة . على أن هذا الوضع السياسى لم يلبث أن تغير تماماً بعد هذه الانتفاضة الدينية التى وحدت شمل هذه القبائل ، وجعلت

---

(١) راجع ماكتبه الأستاذ قاسم الزعبرى حول الممالك الاسلامية القديمة فى أفريقيا السوداء فى مجلة دعوة الحق (الاعداد ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ سنة ١٩٦٢) دكتور حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام والعروبة فيما يل الصحراء الكبرى شرق القارة الافريقية وغربيها ص ٥٤-٥٧ (القاهرة ١٩٥٧) .

منها قوة يخشى بأسها على مملكة غانا نفسها ، والأحداث التاريخية التى تلت ذلك تدل على أن نهاية مملكة غانا كانت فى أواخر القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وعلى يد هؤلاء الملثمين الصنهاجيين أو بتعبير أصح المرابطين . وتفصيل ذلك أن الأمير أبا بكر عمر اللمتونى ،بعد أن وطد نفوذ المرابطين فى المغرب ، وبنى لهم مدينة مراكش لتكون قاعدة لملكهم هناك سنة ٤٦٢ هـ (١٠٧٠ م) ترك الأمر هناك لابن عمه يوسف بن تاشفين ، واتجه عبر الصحراء جنوباً للجهاد فى الجبهة الثانية ضد مملكة غانا الوثنية . وفى سبيل هذا الهدف العظيم ، اضطر الأمير المجاهد أبو بكر بن عمر ، أن يترك زوجته وأهله ووطنه ، وأن يبيع نفسه من الله ، يروى أنه قال لزوجته زينب النفزاوية عند فراقه لها : يازينب ، انى سائر إلى الصحراء برسم الجهاد لعلى أرزق الشهادة والفوز بالأجر الوافر ، ولا يمكننى أن أمشى عنك وأنت فى عصمتى ، فان أقمت ، كنت مسؤولا عنك ، والرأى أن أطلقك ثم طلقها ، ويقال انه قال لابن عمه يوسف بن تاشفين : «تزوجها فانها أمرأة مسعودة. فتزوجها يوسف» (١) ثم خرج أبو بكر بن عمر إلى غزو مملكة غانا ، وفى ذلك يقول البلاوى الناصرى : ثم إن أهل غانه ضعف ملكهم وتلاشى أمرهم فى المائة الخامسة ، واستفحل أمر الملثمين المجاورين لهم من جهة الشمال ، وزحف اليهم فاتح المغرب الأمير أبو بكر بن عمر اللمتونى وفتح من بلادهم مسيرة ثلاثة أشهر ، وحمل الكثير منهم ممن لم يكن قد أسلم قبل ذلك ، على الاسلام ، فدانوا به ، ثم اضمحل ملك أهل غانة بالكلية .. ثم غلب أهل مالى على الأمم المجاورين لهم وملكوا ما كان بأيديهم وبأيدى أهل غانة» (٢) .

وقال صاحب الحلل الموشية : «وأسلم أهل غانة ، وحسن إسلامهم عند خروج الأمير أبى بكر بن عمر اللمتونى اليهم» (٣) .

---

(١) راجع (ابن عذارى : البيان المغرب ، الجزء الخاص بالمرابطين فى Hésperis - Tamuda Vol-II, 1961).

(راجع كذلك (روض القرطاس ـ ٢ ص ٣٣) .

(٢) البلاوى : الاستقصا ـ ٥ ص ١٠٠ .

(٣) الحلل الموشية لمؤلف مجهول ص ٧ (نشر طوش)

كذلك يقول صاحب القرطاس : وخرج أبو بكر إلى غزو بلاد السودان ، فجاهدهم حتى فتح من بلادهم مسيرة ثلاثة أشهر إلى أن استشهد بسهم مسموم بعد أن استقام له أمر الصحراء إلى جبل الذهب من بلاد السودان(١).

فمن هذه النصوص وغيرها ، نجد أن سقوط مملكة غانا ، وانتشار الإسلام بين أهلها ، ثم قيام مملكة مالى الاسلامية على أنقاضها ، كان ثمرة من ثمرات جهاد هذا الأمير وجنوده المرابطين (٢) .

وهكذا انتهت حياة هذا المجاهد الكبير بالشهادة التى كان يناشدها ، فذكرنا بالشهيد عقبه .

وبعد ، فهذه هى بعض الصفحات الأولى التى خطها المرابطون بسيوفهم ودمائهم ضد المارقين والمشركين فى المغرب والصحراء والسودان ، فنصروا الإسلام وأدوا رسالتهم أحسن الأداء .

---

(١) ابن ابى زرع : روض القرطاس ج ٢ ص ٣٥ ، ولعل المقصود بجبل الذهب هنا هو بلاد ونقارة Wangata التى كانت تقع خارج حدود غانة والتى كانت شعوب الماندنجو تستخرج منها الذهب وتستبدله بالملح والسلع الأخرى من غانة . راجع (حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام والعروبة ص ٥٦)

(٢) يقال ان عدداً كبيراً من أهالى غانا فروا من الموت أمام زحف المرابطين ، وقصدوا ساحل الذهب وعمروها . ولهذا اختار الرئيس السابق نكروما اطلاق اسم غانا على دولته إحياء لذكرى هذه الدولة القديمة العريقة .